٢

سلسلة الإسلام
منهج حياة

علاقة العبد بقلبه

أبو أيمن
أحمد محمود الديب

سلسلة الإسلام

منهج حياة

حقوق الطبع محفوظة
للناشر

١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م
الطبعة الأولى

علاقة العبد بقلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك ، الحق ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ، خلق الخلق بقدرته ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه ، وخليله ، بلغ رسالات ربه ، وأدى أمانات دينه ، ونصح الأمة ، وكشف بإذن ربه الغمة ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، أرسله الله تعالى إماماً للمهتدين ، وخاتم المرسلين ، ورسولاً للناس أجمعين ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾[1] ،

(١) سورة الجمعة : ٢ .

ولقد فتح الله به قلوباً غلفاً ، وأذاناً صماً وأعيناً عمياً وأنار به السبيل وأقام به الحجة وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه ، وآله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

يقول الله عز وجل فى محكم التنزيل فى الآية التاسعة عشر من سورة آل عمران : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[1] وفى الآية الخامسة والثمانين من السورة نفسها ﴿ **ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] هذا إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو إتباع الرسل فيما بعثهم به الله ، حتى ختمهم بمحمد ﷺ ، الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين

(١) سورة آل عمران : ١٩ .
(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

على غير شريعته فليس بمتقبل ﴿ **ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] وعلى ذلك فإن الإسلام دين عام وشامل .

فهو دين عام لا يخص أمة دون أمةٍ ، ولا جنساً دون جنسٍ ، ولا لوناً دون لونٍ ، وإنما هو دين الخلق أجمعين أرسل الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[2] ، ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾[3] .

فقام رسولنا ﷺ يدعو الناس وذكرهم بأنه لم يأت بجديد لم يعرفوه بل أتى بدين الله الذى جاءت به الرسل من قبله ليجمعهم بعد تفرق ويعيشوا فى ظله أخوة متحابين متساوين فى عبوديتهم لله وفى جميع الحقوق والواجبات ، وحمل إليهم نظاماً شاملاً لشئون حياتهم صالحاً لكل زمان ومكان ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به**

(١) سورة آل عمران : ٨٥ .
(٢) سورة سبأ : ٢٨ .
(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ .

إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾[1] وعلى ذلك فإن الإسلام دين عام .

وهو دين شامل لأنه شمل جميع جوانب الحياة الإنسانية من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق ، وبذلك جاءت الشريعة الإسلامية نظاماً كاملاً ومنهاجاً شاملاً .

فلم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا تولاه بالعناية والرعاية :

فنظم أولاً : علاقة العبد بربه .
ونظم ثانياً : علاقة العبد بقلبه .
ونظم ثالثاً : علاقة العبد بنفسه .
ونظم رابعاً : علاقة العبد بشيطانه .
ونظم خامساً : علاقة العبد بأسرته .
ونظم سادساً : علاقة العبد بالآخرين .
ونظم سابعاً : علاقة العبد بمعاملاته المالية .

من أجل ذلك جاء الإسلام نظاماً شاملاً ومنهج حياة ، وعلى هذا سوف يدور بحثى فى هذا الكتاب

---

(١) سورة الشورى : ١٣ .

حول هذه المعانى وحول هذه العلاقات التى قام الإسلام بتنظيمها نظاماً محكماً ، وليتبين لنا أن الإسلام منهج حياة وليتضح لنا ضلال الذين حادوا عن شرع الله فلم يطبقوا الشريعة الإلهية ، واستبدلوها بالقوانين الوضعية ، وزعموا أن الشريعة الإسلامية لم تعد صالحة للتطبيق **﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾**[1] ، وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملى صالحاً ولوجهه خالصاً ، فإن أصبت فالفضل كله لله عز وجل ، وإن أخطأت فاستغفر الله تعالى من ذنبى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

وكتبه
أبو أيمن
أحمد محمود إبراهيم الديب

---

(١) سورة الكهف : ٥ .

ثانيـــاً
علاقة العبد بقلبه

لقد أخبر الله تعالى فى محكم التنزيل أنه سوف يسأل عباده يوم القيامة عن قلوبهم فقال : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾[1] من أجل ذلك نظم الإسلام علاقة العبد بقلبه ، ومن هنا وجب على العبد المسلم أن يتعرف على قلبه فما هو القلب ؟ وما هى أنواع القلوب ؟ هذان سؤالان سوف أجيب عنهما لنتعرف من خلال الإجابة على قلوبنا .

أولاً : ما هو القلب ؟

قيل القلب هو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ذكره الله تعالى فى واحدٍ وثلاثين ومائة موضعاً ، وذكر الفؤاد فى ستة عشر موضعاً وذكره رسولنا ﷺ فى أحاديث

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .

كثيرة ففى المتفق عليه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب** »[1] فالقلب هو ملك الأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود ، والأعضاء هى المنفذة لما يأمرها به لا يستقيم لها شىء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته فهى تكتسب منه الاستقامة والزيغ .

ثانياً : ما هى أنواع القلوب ؟

لقد قسم رسولنا ﷺ القلوب إلى أربعة قلوب وإلى قلبين عند عرض الفتن عليها ، روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط**

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٥٢) ، (٢٠٥١) ، ومسلم (١٥٩٩) ، وأبو داود (٣٣٢٩) ، والترمذى (١٢٠٥) ، والنسائى (٢٤٢/٧) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) ، وأحمد (٢٦٧/٤) ، والدارمى (٢٤٥/٢) .

على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأى المادتين غلب على الأخرى غلب عليه »[1].

وصح ذلك أيضاً عن الصحابة رضى الله عنهم من قول حذيفة بن اليمان وقسم الرسول ﷺ القلوب إلى قلبين عند عرض الفتن عليها وذلك فيما رواه مسلم رحمه الله فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً**

(١) **حديث ضعيف** . أخرجه أحمد (١٧/٣) ، والطبرانى (١١٠/٢) فى الصغر ، وأبو نعيم (٣٨٥/٤) فى الحلية ، وانظر مجمع الزوائد (٦٣/١) .

ولا ينكر منكرًا ، إلا ما أُشْرب من هواه ، وقلب أبيض فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض »[1] .

وهنا أنقل قول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه القيم – إغاثة اللهفان – يقول رحمه الله تعالى : لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها ، انقسم بحسب ذلك إلى ثلاثة أقسام :

الأول : القلب الصحيح .
الثانى : القلب الميت .
الثالث : القلب المريض .

وهنا نتعرف على هذه القلوب الثلاثة وأبدأ بتعريف القلب الميت ثم المريض ثم الصحيح .

القلب الميت :

القلب الميت هو القلب الذى لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره ، فهو واقف مع شهواته ، ولذاته ، فهو لا يبالى بسخط الله عز وجل وغضبه ، فإن أحب أحب

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٤٤) ، والبغوى (٧/١٥) فى شرح السنة .

لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فالهوى أمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه ، فهو فى الدنيا مغمور ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور ، يتبع كل شيطان مريد ويعادى أهل الحق والتوحيد ، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ، ومعاشرته سم ، ومجالسته هلاك .

القلب المريض :

ما هو القلب المريض ؟ وما هى علامات مرضه ؟ وما هى أسباب مرضه ؟

القلب المريض ذكره الله تعالى فى اثنتى عشرة آية قال عز من قائل : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ..** ﴾[1] قال قتادة ومجاهد رحمهما الله تعالى مرض الشك .

(١) سورة البقرة : ٩ .

وقال تعالى لأمهات المؤمنين : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ..** ﴾[1] أمرهن ألا يلنّ فى كلامهنّ حتى لا يطمع من فى قلبه مرض الشهوة .

إذاً فالقلب المريض هو قلب له حياة وبه علة تمده هذه مرة ، وهذه أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها ، والحرص على تحصيلها ، والحسد والكبر والعجب ما هو مادة هلاكه وعطبه فهو ممتحن بين داعيين : داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة ، وداع يدعوه إلى العاجلة .

وأما علامات مرضه فعلى العبد المسلم أن يتعرف على قلبه وأن يهتم به كما يهتم بأمراض البدن فأمراض القلوب هى الأمراض الحقيقية وهى أمراض الجهل والشك والريب والشبهات والغى والشهوات ، فإن كل عضو من أعضاء الإنسان خلق لفعل خاص فإن تعذر

(١) سورة الأحزاب : ٣٢ .

عليه القيام به فهو مريض ، كالعين مثلاً إن تعذر عليها النظر والرؤية فهى مريضة ، وكاليد إن تعذر عليها البطش فى الحق فهى مريضة ، وأما القلب إن تعذر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته ، والشوق إلى لقائه ، والإنابة إليه ، والخوف منه ، وآثار ذلك على كل شهوة فهو مريض .

فقد يعرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف به صاحبه ، بل قد يموت وصاحبه لا يعرف بموته وعلامة مرضه أو موته أن صاحبه لا تؤلمه جراحات المعاصى والقبائح والذنوب ولا يوجعه جهله بالحق فإذا عصى أو أذنب أو خالف أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ من تخلف عن صلاة الجماعة ونظر إلى ما حرمه الله تعالى واستماع إلى غناء وموسيقى وارتكب المنهيات من سرقة وزنا وشرب لمسكرات ومخدرات وتعامل بالربا لم يجد لذلك أثراً فى قلبه ولا تؤلمه جراحات المعاصى ، ولم يشعر بوخز فى ضميره فهو لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وهذه علامة مرضه ، قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر .

وقد يشعر العبد بالمرض ويعرف أن قلبه مريض ويعرف الداء لمرض قلبه وهو أن يخالف هواه ولكن مخالفة الهوى تصعب عليه فيؤثر بقاء الألم على مشقة الدواء .

ومن علامات أمراض القلوب عدول أصحابها عن الأدوية النافعة الموافقة لها إلى الأغذية الضارة والأدوية المهلكة لها ، وأنفع الأغذية : غذاء الإيمان وأنفع الأدوية : دواء القرآن فلو تعرض لهما القلب المريض لذهب ما به من خبث ومرض ولتحقق له الشفاء بإذن الله تعالى .

أسباب أمراض القلوب واعتلالها :

إن أسباب أمراض القلوب واعتلالها يدور على أصلين هما : ١ – فساد العلم والاعتقاد . ٢ – فساد القصد والإرادة . ويترتب عليهما دائان قاتلان الغضب والضلال وهذان المرضان ملاك أمراض القلوب جميعها .

إن أمراض القلوب تكمن فى سموم أربعة ينفذ الشيطان من خلالها لإفساد القلوب وهذه السموم الأربعة تتمثل

ف : ١ – فضول الكلام . ٢ – فضول النظر .
٣ – فضول الطعام . ٤ – فضول المخالطة .

فأما فضول الكلام فهو من السموم الأربعة المهلكة التي تؤدى إلى فساد القلب وقسوته حذر منها رسولنا ﷺ ، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسان نفسه ثم قال : كف عليك هذا ، قلت : يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم** »[1] .

وروى الترمذى عن عقبة بن عامر قلت : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك** »[2] ، وعن أبى هريرة رضى

(١) **حديث صحيح بشواهده** . أخرجه أحمد (٥/٢٣١) ، والترمذى (٢٧٤٩) ، وابن ماجه (٣٩٧٣) ، والحاكم (٤/٢٨٦ – ٢٨٧) وصححه ، وأقره الذهبى على شرط البخارى ومسلم ، وابن أبى الدنيا (٦) فى الصمت .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه الترمذى (٤٠٦) ، وأحمد (٥/٢٥٩) ، والطبرانى (١٧/٢٧٠) فى الكبير .

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »[1] ، وهذا صريح أنه لا ينبغى أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته ومتى شك فى ظهور المصلحة فلا يتكلم ، هذا هو خطر فضول الكلام فماذا عن الغيبة والنميمة والكلام الباطل الفاحش ، وكلام ذى الوجهين ، والمراء والجدال والخصومة ، والغناء والكذب والمدح والسخرية ، والاستهزاء ، وغير ذلك من آفات اللسان التى تفسد على العبد قلبه ، وتضيع عليه سروره ، ونعيمه فى الدنيا ، وفوزه وفلاحه فى الآخرة .

وأما عن فضول النظر فهو من السموم الأربعة المهلكة التى تؤدى إلى عمى القلب وفساده وإشعاله بنار الشهوة ، قال أطباء القلوب : بين العين والقلب منفذ وطريق فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة ، فإطلاق البصر معصية لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من**

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٨/١٣ ، ٣٩ ، ٤٠) ، ومسلم (١/٤٩) ، وأحمد (٢/٢٦٧) ، والترمذى (٢٦١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧١) .

أبصارهم .. ﴾[1] فإطلاق البصر يلبس القلب ظلمة كما أن غض البصر لله تعالى يلبسه نوراً ، فقد ذكر الله تعالى آية النور ﴿ **الله نور السموات والأرض** .. ﴾[2] بعد قوله : ﴿ **قل للمؤمنين** .. ﴾ فإذا استنار القلب أقبلت وفود الخير إليه من كل ناحية ، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه ، وإطلاق البصر يعمى القلب عن التمييز بين الحق والباطل ، والسنة والبدعة ، لذلك حذر رسولنا ﷺ من إطلاق البصر ، وفضول النظر الذى يحدث فى كثير من الأماكن وبصفة خاصة فى الأسواق التى كثر فيها اليوم المتبرجات ، والسافرات ، والمتعطرات ، روى أحمد وأبو داود والترمذى عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعلى : « **يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية** »[3] .

---

(١) سورة النور : ٣٠ .

(٢) سورة النور : ٣٥ .

(٣) **حديث حسن** . أخرجه أحمد (٣٥١/٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧) ، وأبو داود (٢١٤٩) ، والترمذى (٢٧٧٨) ، والحاكم (١٩٤/٢) ، والدارمى (٢٩٨/٢) ، والبيهقى (٩٠/٧) فى سننه الكبرى .

فمن غض بصره عن محارم الله تعالى أطلق الله تعالى نور بصيرته ومن أطلق بصره عمى قلبه .

وأما فضول الطعام :

ففضول الطعام هو من السموم الأربعة المهلكة التى تؤدى إلى غلظة القلب ، وضعف الفهم ، وتمرد النفس ، ففضول الطعام داع إلى أنواع كثيرة من الشر فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصى ، ويثقلها عن الطاعات والعبادات ، فكم من معصية جلبها الشبع ، وفضول الطعام ، وكم من طاعة حال دونها ، فمن وقى شر بطنه فقد وقى شراً عظيماً ، فلقد حذر رسولنا ﷺ من فضول الطعام ، روى أحمد والترمذى والحاكم عن المقدام رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما ملأ آدمى وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** »[1] وقال

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه الترمذى (٢٣٨٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) ، وأحمد (١٣٢/٤) ، والدارمى (٢١٣) ، والحاكم (٣٣١/٤) ، وابن حبان (١٣٤٨) .

بعض السلف : لا تأكلوا كثيراً ، فتشربوا كثيراً ، فتناموا كثيراً ، فتخسروا كثيراً . فقلة الطعام توجب رقة القلب ، وقوة الفهم ، وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب ، والشبع يورث البلادة ويعمى القلب .

وأما عن فضول المخالطة :

فداؤها الداء وهى من السموم الأربعة المهلكة التى تزرع جذور الشر ، وتغرس الحزازات فى القلوب ، وهى الداء العضال التى تؤدى إلى قسوة القلب وغلظته ، ففضول المخالطة للأشرار هى السم الناقع ، والبلاء الواقع ، إذ يشجعون من خالطهم على فعل المعاصى والمنكرات ، من أجل ذلك حذر رسولنا ﷺ من مخالطتهم ، وأوصى بمخالطة أهل الصلاح ، روى أبو دواد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقى** »[1] وروى أبو داود

(١) **حديث حسن** . أخرجه أحمد (٣/٣٨) ، وأبو داود (٤٨٣٢) ، والترمذى (٢٣٩٧) ، والدارمى (٢/١٠٣) ، وابن حبان (٢٠٤٩) .

والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »[1] .

ووعظ بعض الصالحين ابنه فقال له : إياك وإخوان السوء ، فإنهم يخونون من رافقهم ، ويفسدون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجراب ، الإخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك عند الرخاء ، فاحفظ صديق البلية ، وتجنب صديق العافية ، فإنه أعدى الأعداء . وقال الشاعر :

فما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

فلا ينبغى للعاقل أن يجالس أو يخالط أهل البدع والفجور والمعاصى ، فإن فعل ذلك فإما الموت لقلبه أو المرض .

(١) **حديث حسن** . أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذى (٢٣٧٩) ، وأحمد (٢/٣٠٣ ، ٤٣٤) ، والحاكم (٤/١٧١) ، والبغوى (٣٤٨٦) فى شرح السنة .

هذه هى السموم الأربعة المهلكة ، وهى أشهر السموم انتشاراً ، وأشدها تأثيراً على القلوب فلنحافظ على قلوبنا من شر هذه الأمراض ، ولننظر فيها بعين البصيرة لنكون من أصحاب القلوب السليمة .

القلب السليم (القلب الصحيح) :

فما هو القلب الصحيح ؟ وما هى علامات صحته ؟ وما هى أسباب صحته وحياته ؟

القلب الصحيح هو القلب السليم الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله تعالى به ، ذكره الله تعالى فى موضعين اثنين فى سورة الشعراء حيث قال عز من قائل : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[1] وفى سورة الصافات قال تعالى : ﴿ **وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربّه بقلب سليم** ﴾[2] ففى سورة الشعراء قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن سيرين : السليم عن مرض الكفر والنفاق ، وقيل : هو الخالى عن العقائد الفاسدة والميل

(١) سورة الشعراء : ٨٩ .
(٢) سورة الصافات : ٣٧ .

إلى شهوات الدنيا ولذاتها ، وأما فى سورة الصافات أى جاء بقلب طاهر ليس فيه شك ولا شرك ، وقيل : أى سالم من جميع الآفات كفساد العقائد والنيات السيئة والصفات القبيحة كالحسد والغل وغير ذلك .

فالقلب الصحيح ، هو : القلب الذى سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسلم من عبودية ما سواه ، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ فخلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ، ومحبةً وتوكلاً وإنابةً وإخباتاً وخشيةً ورجاءً وخلص عمله لله تعالى فإن أحب أحب فى الله ، وإن أبغض أبغض فى الله ، وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الإنقياد والتحاكم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الإتمام ، والإقتداء به وحده دون كل أحد فى الأقوال والأعمال ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ، ولا قول ولا عمل امتثالاً لأمر الله عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾[1] .

(١) سورة الحجرات : ١ .

فالقلب الذى يفعل ذلك ويقف عند هذا الأمر ، فهو قلب صحيح سليم وهو القلب الحى المخبت اللين الواعى .

وهنا يجدر بنا أن نتعرف على صاحب القلب السليم لتسلم لنا القلوب ولنرى هل نحن من أصحاب القلوب السليمة ؟

صاحب القلب السليم هو إبراهيم عليه السلام ومن سار على نهجه ، فلقد شهد الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام بسلامة قلبه فقال : ﴿ **وإن من شيعته لإبراهيم إذا جاء ربّه بقلب سليم** ﴾ فإبراهيم ، عليه السلام ، هو إمام هذه الحنيفية السمحة ، وهو الرسول الذى يحاول اليهود والنصارى أن ينتسبوا إليه ، ولكن الله عز وجل كذبهم فى دعواهم ، فقال عز وجل : ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين** ﴾[1] وهو النبى الذى دعا ربه لهذه الأمة أن يبعث فيها رسولاً منها يتلو عليهم الآيات ، ويعلمهم الحكمة ويزكيهم ويطهرهم ، فاستجاب له الله تعالى لسلامة قلبه ، وأرسل سيد الأنبياء

(١) سورة آل عمران : ٦٧ .

والمرسلين محمداً ﷺ ، وهو النبى الذى سمى هذه الأمة بالمسلمين فقال تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ﴾[1] .

من أجل هذا أمر الله تعالى أمة محمد ﷺ أن تصلى على كبير الأنبياء كما تصلى على سيد الأنبياء : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

إن إبراهيم عليه السلام صاحب القلب السليم جعله الله تعالى مثالاً لمن أراد أن يفوز بالدارين فهو نبى مبتلى ، ونبى ابتلاه الله عز وجل فصبر ، فالذين يعلنون كلمة الإسلام بألسنتهم ويأتون بعبادات خالية من الخشوع لله عز وجل وبقلوب سوداء ، ويظنون أنهم سينالون بها المراتب العليا عند الله ، فهو قوم واهمون لم يفهموا الإسلام على حقيقته ، فإن الله تعالى جعل دينه يقوم على الجهاد والتضحية فهذا النبى صاحب القلب السليم

(١) سورة الحج : ٧٨ .

ما تحقق له ما أراد ولا وصل إلى ما وصل إليه عند الله تعالى من سلامة القلب حتى ابتلاه ، قال تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ..** ﴾[1] .

أتى بهذه الكلمات وتلك الأوامر، أتى بها على وجهها طاعة وخضوعاً وإخباتاً لله عز وجل، فأتاه الله رشده ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ﴾[2] فما نال ما ناله من سلامة القلب بأمانيه ولا نومه ، وإنما بسعيه وجهاده وقولته قولة الحق لوالده ولقومه ، ومعارضته لسلطان الطواغيت فأعلن لهم جميعاً ما هم فيه من ضلال وفاصلهم على ما هم فيه من باطل بالحق الذى معه ، إنه أعلن لأبيه وقومه وللحاكم بعد إقامة الحجة عليهم أنهم وما يعبدون من دون الله تعالى هم له عدو ، فإن قلبه لا يولى من عاند ربه وكفر بآياته وفسق عن أمره ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون**

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .
(٢) سورة الأنبياء : ٥١ .

قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .. ﴾[1] فإبراهيم عليه السلام صاحب القلب السليم جاء لربه بصورة النقاء والطهارة والبراءة ، والاستقامة التى تتمثل فى سلامة القلب بعد أن أعلن عداوته لآلهة باطلة تعبد من دون الله ﴿ **قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ..** ﴾[2] ففارق قومه بعقيدته وجاهر بعدائه لآلهتهم ، وعقيدتهم ، وبذلك يعلمنا نبى الله إبراهيم عليه السلام صاحب القلب السليم ، أنه لا مجاملة فى العقيدة لوالدٍ ، ولا لقومٍ ، ولا حاكمٍ فإن الرابطة الأولى هى رابطة العقيدة ، وأن القيمة الأولى هى قيمة الإيمان .

وبعد أن أعلن هذا الإعلان الصريح يبين إبراهيم عليه السلام منهجه وعقيدته، وصفة ربه عز وجل فقال : ﴿ **الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ..** ﴾[3] وهذه الآيات تحتاج إلى وقفات ووقفات للتأمل فيها وللاستفادة ما فيها من عقيدة نبتت

(١) سورة الشعراء : ٧١ .
(٢) سورة الشعراء : ٧٦ .
(٣) سورة الشعراء : ٧٩ .

على التوحيد الخالص لله عز وجل ولكننا بصدد هذه الشخصية التى تميزت بسلامة القلب ، وبهذه الكلمات أعلن إبراهيم عليه السلام براءته من قومه ، وأعلن عقيدته الصحيحة بتوحيد الله عز وجل ، وإقراره لله تعالى بتصريفه للبشر فى أدق شؤون حياتهم ، وأعلن إيمانه بالبعث والحساب بعد الموت ، وبذلك استحق شهادة الله تعالى له بسلامة قلبه ﴿ **وإن من شيعته لإبراهيم إذا جاء ربه بقلب سليم** ﴾ هذا هو صاحب القلب السليم .

فما هى علامات صحة القلب ؟

علامات صحة القلب هن تسع وعلينا أن نعرض قلوبنا عليها لنتعرف على قلوبنا .

العلامة الأولى : أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها ، جاء إلى هذه الدار غريباً يأخذ حاجته ويعود إلى وطنه كما قال ﷺ لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما « **كن فى**

الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[1] فهل نحن كذلك ؟

العلامة الثانية : أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله تعالى ويخبت إليه ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه فيستغنى بحبه عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه ، وبطاعته وعبادته عن طاعة ما سواه . فهل نحن كذلك ؟

العلامة الثالثة : أنه إذا فاته ورده أى إن كان له نصيب يومى من تلاوة لكتاب الله تعالى ، أو طاعة من الطاعات، فإذا فاته ذلك وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده . فهل نحن كذلك ؟

العلامة الرابعة : أن يشتاق إلى طاعة ربه كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب .

العلامة الخامسة : أن يكون همه واحداً ، وأن يكون فى الله تعالى فهمّه طاعة ربه ، ورضا ربه ، وعفو ربه ، ومغفرة ورحمة ربه .

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٨/١١٠) ، والترمذى (٢٣٣٣) ، وابن ماجه (٤١١٤) ، وابن المبارك (٥) فى الزهد ، والبغوى (١٤/٢٣١) فى شرح السنة .

العلامة السادسة : أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحاً بماله .

العلامة السابعة : أن يكون إذا دخل فى الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا ، ووجد فيها راحته ونعيمه وقرة عينه وسرور قلبه .

العلامة الثامنة : أن لا يفتر عن ذكر ربه ، ولا يسأم من طاعته ، ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويذكره به .

العلامة التاسعة : أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم من العمل نفسه فيحرص فى عمله على ستة أمور : ١ – الإخلاص فيه . ٢ – النصيحة . ٣ – المتابعة لرسول الله ﷺ . ٤ – الإحسان . ٥ – يشهد مع ذلك منة الله تعالى عليه فيه . ٦ – تقصيره فى حق الله تعالى . فهل نحن كذلك ؟ فمن وجد هذه العلامات وشعر بها فى قلبه فهو من أصحاب القلوب السليمة ومن وجد غير ذلك فعليه بإصلاح قلبه ليكون من أصحاب القلوب السليمة .

أسباب صحة القلوب :

وأما أسباب صحة القلب فعلى العبد المسلم أن يبحث عنها فإن صحة القلب تتوقف على أداء الطاعات والطاعات لازمة لحياة القلب كما أن المعاصى والذنوب تفسد القلوب .

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى :

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

فمن أراد سلامة قلبه وحياته فعليه بتخليص قلبه من السموم ، فكما أن العبد يأخذ بالأسباب التى تؤدى إلى حياة جسده من المداومة على تناول الأغذية النافعة فعليه أن يعلم أن حياة قلبه أولى بالاهتمام من جسده ، فإن كانت حياة الجسد تؤهله لمعيشة غير منغصة بالمرض فى الدنيا ، فحياة القلب تؤهله لحياة طيبة فى الدنيا ، وسعادة غير محدودة فى الآخرة ، قال أحد الصالحين : يا عجباً من

الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد .

إذاً فالطاعات كلها لازمة لحياة القلب وصحته ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى حياة القلب وصحته وهى من الأغذية النافعة له أذكر منها ستة أسباب :

السبب الأول : تلاوة القرآن الكريم غذاء القلوب يعمل على طهرتها وصفائها ، يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه : لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله عز وجل . والقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة ، روى مسلم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** »(١) .

السبب الثانى : ذكر الله تعالى فهو يُطمأن القلوب قال تعالى :﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾(٢) وروى

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (٨٠٤) ، وأحمد (٢٤٩/٥) ، والبغوى (٤٥٦/٤) فى شرح السنة ، والبيهقى (٣٩٥/٢) فى سننه الكبرى .

(٢) سورة الرعد : ٢٨ .

الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله** »(١) .

السبب الثالث : الاستغفار ، فالاستغفار يشعر القلب باليقظة الدائمة أمر الله تعالى عباده به فقال : ﴿ **واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾(٢) ورسولنا ﷺ كان يكثر من الاستغفار ، وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** »(٣) ، وفى رواية لمسلم **أكثر من مائة مرة** .

السبب الرابع : الدعاء ، والدعاء سلاح لقلب المؤمن يتوجه به المؤمن إلى ربه لتنفيس كربه ولقضاء حاجاته أمر به الله تعالى فقال : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم** ﴾(٤) وروى أبو داود والترمذى عن

(١) **حديث صحيح** . أخرجه الترمذى (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، وابن حبان (٢٣٢٦) ، والحاكم (٤٩٨/١) .

(٢) سورة المزمل : ٢٠ .

(٣) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٨٣/٨) ، وأحمد (٣٤١/٢) .

(٤) سورة غافر : ٦٠ .

النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** »[1] .

السبب الخامس : الصلاة على رسول الله ﷺ ، فالصلاة على رسول الله ﷺ حياة للقلب أمر الله تعالى بها بعد أن بدأ بنفسه ثم ثنى بالملائكة ثم أمر بها العباد فقال عز من قائل : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[2] وروى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة** »[3] .

السبب السادس : قيام الليل ، وقيام الليل ينجى القلوب من الغفلة وهو دأب الصالحين ، قال الله تعالى عن عباده : ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾[4] وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٢٧١/٤) ، وأبو داود (١٤٧٩) ، والترمذى (٣٤٣٢) .
(٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(٣) **حديث ضعيف** . أخرجه الترمذى (٤٨٤) ، وابن حبان (٢٣٨٨) ، والبغوى (٦٨٦) فى شرح السنة .
(٤) سورة الفرقان : ٩٤ .

قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة الليل** »[1] .

وبعد عرض هذه الأسباب نتسائل أين قلوبنا من هذه الأسباب، وأين قلوبنا من هذه العلامات ، فلو سلطنا عليها هذه الأسباب وتحلينا بهذه العلامات لاستنارت بنور الإيمان ولنزعنا منها كيد الشيطان ولسلمت القلوب من أدرانها واستقامت على أمر ربها ولسلمت النفوس وانتظمت فى علاقتها مع خالقها .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١١٦٣) ، وأحمد (٣٤٤/٢) ، والترمذى (٧٧٠) ، والنسائى (٢٠٧/٣) ، وابن المبارك (٤٢٧) فى الزهد ، وابن خزيمة (١١٣٤) ، والبيهقى (٢٩١/٤) فى سننه .

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحـة
المقـدمـة	٣
ما هو القلب ؟	٨
أنواع القلوب	٩
أسباب أمراض القلوب واعتلالها	١٥
القلب السليم (القلب الصحيح)	٢٢
علامات صحة القلب	٢٨
أسباب صحة القلوب	٣١
الفهـرس	٣٦

كتب للمؤلف طبعت

١ - فتح المجيد ، رسالة في علم التجويد.
٢ - الرقى الشرعية بالقرآن والأدعية النبوية.
٣- إعلام الساجد برسالة المساجد.
٤ - العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني والعضوي.
٥ - سلسلة الإسلام، منهج حياة ـ سبعة أجزاء ـ طبع أربعة.
٦ - سلسلة المناسبات الإسلامية ـ العقيقة.
٧- دفع البلايا والشرور بالتحلي بعشرة أمور.
٨- الهجرة والمهاجر دروس لكل حائر.
٩ - تنوير الأفهام بوجوب صلة الأرحام.
١٠ - الوصية الشرعية.
١١ - تحصينات الليل والنهار بالأدعية والأذكار.

كتب للمؤلف لم تطبع

١ - المصحف النبوي المعلم لكل حافظ ومتعلم ومعلم.
٢ - أحكام الطهارة من النجاسات في الثوب والبدن والمطعومات.
٣- علاقة العبد بأسرته، من سلسلة الإسلام منهج حياة.
٤ - هذه عقيدتنا من سلف أمتنا.
٥ - الأهداف الشرعية للحياة الزوجية.
٦ - معركة الحجاب في الرد على منكري غطاء الوجه والنقاب.

كتب للمؤلف طبعت

١ – فتح المجيد ، رسالة في علم التجويد.
٢ – الرقى الشرعية بالقرآن والأدعية النبوية.
٣ – إعلام الساجد برسالة المساجد.
٤ – العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني والعضوي.
٥ – سلسلة الإسلام، منهج حياة ـ سبعة أجزاء ـ طبع أربعة.
٦ – سلسلة المناسبات الإسلامية ـ العقيقة.
٧ – دفع البلايا والشرور بالتحلي بعشرة أمور.
٨ – الهجرة والمهاجر دروس لكل حائر.
٩ – تنوير الأفهام بوجوب صلة الأرحام.
١٠ – الوصية الشرعيه.
١١ – تحصينات الليل والنهار بالأدعية والأذكار.

كتب للمؤلف لم تطبع

١ – المصحف النبوي المعلم لكل حافظ ومتعلم ومعلم.
٢ – أحكام الطهارة من النجاسات في الثوب والبدن والمطعومات.
٣ – علاقة العبد بأسرته، من سلسلة الإسلام منهج حياة.
٤ – هذه عقيدتنا من سلف أمتنا.
٥ – الأهداف الشرعية للحياة الزوجية.
٦ – معركة الحجاب في الرد على منكري غطاء الوجه والنقاب.

فتح المجيد
رسالة في علم التجويد
معركة الحجاب
الردود الخمسة الجليلة على أعداء كتاب السنة النبوية للشيخ الغزالي
الهجرة والمهاجر
أحكام الساجد
علاقة العبد بنفسه
أبو أيمن
أحمد محمود الديب
تحصينات الليل والنهار بالأدعية والأذكار
الله في حياة الفرد والأمة من الكتاب والسنة
علاقة العبد بربه
علاقة العبد بقلبه
العلاج القرآني والطب النبوي